

ينتقل مزراحي الان للحديث عن الاطار التاريخي العائدي الذي عايشه ماركس وتأثر به . فيتكلم اولاً عن مفكرين اتخذوا مواقف ايجابية من اليهود . س. ج. دوهم Dohm هو مثال ثبوتجي على ما يسيه مزراحي بالموقف المتعاطف مع اليهود . ويورد مزراحي للتدليل على رأيه فقرات من كتابات دوهم المذكور ، يظهر فيها هذا مثالياً غارقاً في الاوهام ومتعصباً لليهود : « تلقى اليهود من الطبيعة وبدرجة متساوية ، ملكة التحول الى رجال أفضل وأكثر سعادة ، واعضاء في الدولة أكثر نفعا ... » (ص ١٤٠) . ويستنتج مزراحي ان دوهم ، فيلسوف القرن الثامن عشر المستنير هو ، فيما اختص بالمسألة اليهودية ، أكثر ماركسية من ماركس نفسه !!! (صهيونية مزراحي تأتي عليه الاعجاب الا بمن يحدثه من اليهودي الافضل والانتفع ...) . ويستفيض مزراحي في الكلام عن مفكر آخر : ج. ج. هامان J. G. Haman وهو كاتب صوفي شديد الاعجاب بالثوراة وبخرافاتها ، سلمي بالنسبة لليهود الدياسبورا لانهم لا يمثلون ، حسب رأيه ، المثال الموسوي .

ويستعرض مزراحي ، في معرض الحديث عن الفلاسفة الالمان اللاسابيين ، كلام كاتنط عن اليهودي — التاجر واستعداداته النظرية للخدمة ، مظهراً ، اي مزراحي ، المغالطات التي وقع فيها هذا الفيلسوف الالمانى اللاسامي الذي ينفي كون اليهودية ديناً .

ينتقل مزراحي من ثم الى فيخته في خطابه الى الامة الالمانية وتجيده لها واعتبارها هادية للامم . يتكلم فيخته عن سيطرة اليهود وكراههم للامم الباقية « وهذه هي وجهة النظر التي سببناها ماركس بعد خمسين عاماً ، متفقاً في ذلك مع الفكر الما قبل نازي » (ص ١٥٦) . ويقترح فيخته كحل للتخلص من اليهود ترحيلهم الى فلسطين . (اللاسامية والصهيونية وجهان لعملة واحدة) .

وبعد ان يمر مروراً سريعاً بشونيهارر يصل الى هيفل . ويأخذ مزراحي في تبيان لاسامية هيفل باستعراض المقابلات التي افهامها هذا بين الديانتين المسيحية واليهودية مفضلاً الاولى على الثانية ، جاعلاً من عيوبها محاسن ، على عكس ما يفعل بالنسبة للدين اليهودي . ويوغل هيفل في تهجمه

غير ان صعوبات جمة اعترضت سبيل التصرير هذا ، في المناطق التي بقيت واقعة تحت هيمنة النظام الإقطاعي . هكذا ، بعكس يهود مدينة بوردو ، الذين اندمجوا تماماً في الطبقة البورجوازية ، لم يختلف يهود الالزاس بشيء تقريباً عن اسلافهم في العصور الوسطى . وأدت الفتن الفلاحية ، الموجهة ضد الربا اليهودي ، التي اجبار نابوليون على سن قوانين استثنائية لليهود الالزاس . واثبتت القوانين القضائية البرجوازية عدم جدواها في حالة المجتمع الإقطاعي » (١٥) . ان مزراحي الذي لا يسعه الا ان يلاحظ الإصلاحات التي أدخلتها الثورة الفرنسية على وضع اليهود ، يعتمد اللجوء الى مثال الالزاس واللورين للانتقاص من قيمة هذه الإصلاحات ، رافضاً أخذ خصوصية الوضع في هذه المنطقة بعين الاعتبار (يمكن تبرير هذا الموقف لو لم يدع مزراحي الانتباه الى الاشتراكية « النقية ») .

وبعدما ، يبدأ مزراحي بتمداد كافة الاجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات الأوروبية (ما قبل البورجوازية) ضد اليهود . فيتحدث ، صادقاً هذه المرة ، عن منع اليهود من تعاطي الزراعة او التجارة ، وارغامهم على ممارسة التجارة — الربا خاصة — ويقدم في هذا المجال أدلة تبرهن وتقطع ، وهي ادلة تحفل بها كتابات ليون وغيره . الا أنه عندما ينتقل لاستعمال هذه الادلة في سياق حملته على ماركس متبها اياه بالحديث عن « طبيعة » اليهودي التجارية ، و« جوهره » المرابي ، يبدو جاهلاً بالكليية تحليل ماركس ، وتحليل الماركسيين من بعده (ليون على وجه الخصوص) . وهو في رده على الماركسية يقول ان اليهود انما مارسوا التجارة كنتيجة لعملية تاريخية معتدة ارغمتهم على ذلك ، ويبدو ، اذ يدعي هذا الرأي لنفسه ، اقرب الى الماركسية التي يهاجمها لانها ترفض هذا المنطق .

وينسب مزراحي الى ماركس « الفكرة القيسيطية العائلة بمجتمع يهودي موحد ومؤلف من تجار اغنياء ومستغلين » ، دون ان يكلف نفسه عناء سوق اي دليل على هذا الادعاء . ولا حاجة للتذكير مجدداً بأن الذي تحدث عن اليهود كتجار فاحشي الغنى ، يحل الازدهار الاقتصادي (ومعه الاستغلال بالطبع) اينما حلوا ، هو سومبارت لا ماركس(١٦) .